

معاجم مصطلحات البحث والتأليف العربية المعاصرة

لم يكن مدهشا أن يقرر فرانتز روزنتال أن المسلمين كان لهم إسهام جبار في ميدان التأليف العلمي، وهذا الرأي الذي افتتح به كتابه «مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي» (ص 15) جاء مدعوما بما توصل إليه كثير من العلماء الغربيين من أمثال فون كريمر.

وبالإمكان أن نقرر أن وجود جهاز مصطلحي أو مدونة مصطلحات عربية للتأليف والبحث العلمي عند العرب كاف- في هذا السياق- لإثبات تفوق الحضارة العربية الاسلامية في باب التأليف والبحث العلمي منذ وقت مبكر مقارنة بما عرفته فيما بعد الحضارة الغربية.



د. خالد فهمي

هذه الحقيقة جاءت نتيجة منطقية للعناية المبكرة التي أولاها الإسلام العظيم لتدبر نصه الأكبر الحاكم في الثقافة العربية وهو الكتاب العزيز، فضلا عن العناية المبكرة التي تجلت في الحث على القراءة والبحث والتأمل على مستوى النصوص المشرعة في القرآن الكريم والسنة المشرفة وعلى مستوى الواقع منذ زمان مبكر جدا يعود إلى عصر النبوة.

١ - العناية بمصطلحات التأليف والبحث العلمي في الحضارة الإسلامية قديما

ظهرت عناية الثقافة العربية الاسلامية بمصطلحات التأليف والبحث العلمي في ميادين متنوعة يمكن إجمالها فيما يلي:

أولا: معاجم المصطلحات المتعددة العلوم (أو ما نسميها باسم معاجم المصطلحيات العربية) من مثل: مفاتيح العلوم للخوارزمي، والتعريف للجرجاني، والتوقيف على مهمات التعاريف للمناوي، وجامع العلوم للأحمد نكري، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي.

ثانيا: مصنفات تصنيف العلوم، ذلك أن هذه المصنفات غايتها التعريف بالعلوم المختلفة، وبطرائق تصنيفها، ومن أشهر ما عرفه التأليف العربي في هذا الباب المعرفي إحصاء العلوم للفارابي، وطبقات العلوم لصاعد، وترتيب العلوم لساجقلي زاده.

ثالثا: مصنفات الفهارس والببليوجرافيا العربية، التي اعتنت برصد الإسهام العلمي عبر التاريخ من مثل: الفهرست، للنديم، ومفتاح السعادة، لطاش كبرى زاده، وكشف الظنون لحاجي خليفة.

رابعا: مصنفات علم الحديث (الدراية)، لما فيها من عناية فائقة بطرق تحمل العلم وأدائه وكيفية نقد المتن، وغيرها من المسائل المهمة جدا في التأليف والبحث العلمي، من مثل: تدريب الراوي للسيوطي، والجامع للخطيب البغدادي، والإلماع للقاضي عياض.

خامسا: مؤلفات أصول الفقه ومعاجمه، لاهتمامها بالمجتهد وشروطه، وهي كثيرة تملأ المكتبة العربية، من مثل: الحدود للباجي، والتعريفات الدقيقة لزكريا الأنصاري، وبيان كشف الألفاظ التي لابد للفقيه من معرفتها للامشي الحنفي، المنسوب خطأ للأبذي المصري.

ولا يمكن التغافل هنا عن مؤلفات علم الأصول والجدل والمناظرة والمنطق، لعنايتها جميعا بطرائق الاستدلال، ونقص الأدلة، وعكسها، وبيان بطلان الباطل منها، ورد أقوال الخصوم، وكلها من لوازم عمل الباحث في التأليف والبحث العلمي.

سادسا: مؤلفات تحقيق التراث وإعداد البحوث ومناهجها، ومؤلفات أصول التوثيق ونشر الكتب وعلم المكتبات والوثائق، وعلم المخطوط العربي، وهي كثيرة جدا ومتنوعة تنوعا خصبا.

واعتماد ما ورد في هذه المصنفات كاف في إخراج معجم غزير المادة لمصطلحية البحث العلمي عند العرب، وهو ما يعكس الوجه الحضاري الرائع للثقافة العربية الإسلامية في عطائها المعرفي للإنسانية في هذا المجال الخطير.

وقد كان لغياب كثير جدا من هذه المصادر عن المعاجم المصنوعة حديثا لمصطلحات التأليف والبحث العلمي عند العرب أثر ظاهر في إخلالها بعدد كبير من هذه المصطلحات لم تظهر فيما بين أيدينا من هذه المعاجم المعاصرة.

وفيما يلي أمثلة لمصطلحات التأليف والبحث العلمي العربية توافرت فيما رصدته من المصادر التي تعد أصلا لازما لصناعة أمثال هذه المعجمات، وهي من مصدر واحد فقط هو معجم التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي المصري (ت ١٠٣١هـ) (١):

■ آداب البحث = صناعة نظرية، لاستفادة كيفية المناظرة، وشروطها صونا عن الخبط في البحث، وإلزاما للخصم وإفحاما.

■ الدخيل = وقولهم: هذا الفرع دخيل في الباب، أي: ذكر استطرادا أو لمناسبة، ولا يشتمل عليه عقد الباب.

■ العرض = وله معان منها: استظهار الكتاب حفظا، ومقابلته بنسخة صحيحة، لتصحيحه وضبطه.

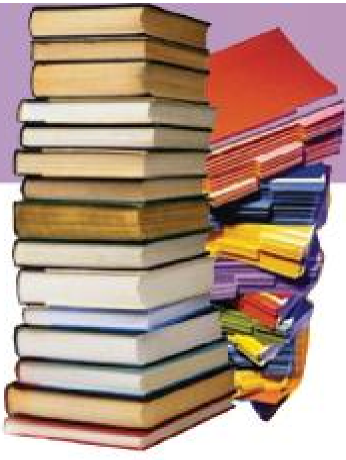
■ الغصب = في آداب البحث: منع مقدمة الدليل، وإقامة الدليل على نفيها قبل إقامة المعلل الدليل على ثبوتها سواء لزم إثبات الحكم المتنازع فيه ضمنا أم لا.

■ المبادئ = هي التي تتوقف عليها مسائل العلم، كتحرير المذاهب، وتقرير المباحث، فللبحث أجزاء مترتبة بعضها على بعض، وهي المبادئ والأواسط والمقاطع والمقدمات التي تنتهي الأدلة والحجج إليها.

وهذه أمثلة قليلة جدا لما تحتفظ به لغة العرب في هذا المجال المهم، مما يمكن الإفادة منه، وهو ما كان لغيابه الأثر السلبي في معاجم مصطلحات التأليف والبحث العلمي العربية المعاصرة.

٢- معاجم مصطلحات التأليف والبحث العلمي العربية المعاصرة اجتهد المعاصرون من

● أستاذ اللغة العربية في جامعة المنوفية



علماء العربية في قطاع كبير من قطاعات العمل المعجمي، ولاسيما المختص، أن يبتكروا أنواعا من المعاجم لم تلق العناية اللائقة بها قديما من جانب، أو أن يدفعوا عن هذه المعاجم بعضا من الاتهامات أو الأخطاء الشائعة في مجال معرفي معين.

هذه الصورة هي التي حكمت ظهور معاجم مصطلحات التأليف والبحث العلمي العربية المعاصرة، يقول د.أحمد جاسم النجدي: «من الأفكار الشائعة بين كثير من الباحثين فكرة تشير إلى أن منهج البحث علم اقتبسناه من الغربيين ضمن ما اقتبسناه في بداية عصر نهضتنا من علوم وفنون. ولم يكن اقتباسنا هذا العلم مقتصرا على خطواته ومبادئه فقط، بل شمل كثيرا من مصطلحاته الدالة على خطوة من تلك الخطوات، أو مبدأ من تلك المبادئ بعد ترجمتها إلى لغتنا واستعمالها بمدلول يدل على تلك المبادئ والخطوات» (٢).

ويؤكد د.عبد الله بن محمد أبوداهش أن الدافع وراء عنايته بجمع مصطلحات البحث العلمي هو أنها متفرقة في غير ما مكان مما يفوت فرص الإفادة منها.

وقد عرف التصنيف المعجمي العربي المعاصر معجمين لمصطلحات التأليف والبحث العلمي، هما كما يلي:

(أ) معجم مصطلحات البحث والتأليف الأدبي عند العرب، للدكتور أحمد جاسم النجدي ١٩٨٦م، صدر ضمن كتاب المورد بعنوان: دراسات في اللغة، تحرير – طراد الكبيسي، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد سنة ١٩٨٦م (ص ١١٧-١٤٤).

(ب) معجم مصطلحات البحث العلمي، للدكتور عبد الله بن محمد أبي داهش، سنة ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م، صدر عن مكتبة العبيكان، الرياض سنة ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م (ص ٩١).

العناية بمعاجم مصطلحات التأليف والبحث العلمي يصحح التصورات والمفاهيم المغلوطة عند الحضارة الغربية المعاصرة

وظائف مهمة

وفحص الأهداف التي حكمت ظهور هذين المعجمين يعكس عنايتهما بتحقيق الوظائف والأغراض التالية:

أولا: الوظيفة الحضارية، أي البرهنة على تقدم العلم في الثقافة العربية الإسلامية في ميدان البحث والتأليف، من خلال جمع مصطلحاته واستعمالها برهانا على عطاءات هذه الحضارة وسبقها في ميدان البحث العلمي ومناهجه مقارنة بغيرها من ثقافات الألسنة الأخرى.

ثانيا: الوظيفة المعرفية (العلمية)، ويقصد بها العناية بالمفاهيم والتصورات التي تحملها هذه المصطلحات، لاسيما بعد تقادم العهد بها.

ثالثا: الوظيفة التربوية والأخلاقية، ويقصد بها أثر هذين المعجمين في المبادئ التي تتسرب إلى أنفس المستعملين من تأمل كثير جدا من المداخل (المصطلحات) التي تحمل قيما تربوية وأخلاقية، لاسيما أن عددا ضخما من مصطلحات التأليف والبحث العلمي تتعلق بآداب البحث وأخلاق العلم وسمات الباحث وآداب التلقي، وأخلاق النقل.

منهجية ترتيب المصطلحات في معاجم مصطلحات التأليف والبحث العلمي

لم يكن غريبا أن يرتب د.أبوداهش مصطلحات معجمه في مصطلحات البحث العلمي وفق المنهج الهجائي الألفبائي النهائي، أي من غير اعتبار للحروف الجذور أو الأصول، وهو المنهج الأشهر من معيار التيسير، ولا شك أن ذلك يعكس وعيا معجميا معاصرا من جانب ويعكس وعيا بضرورة توفير مبدأ التيسير في العمليات المختلفة في البحث والتأليف.

ومراجعة المصطلحات التالية، وهي منقولة حسب ورودها عنده، دالة على هذا المنهج المتبع (مداخل باب الباء)

- ■ الباب = جزء من المحتوى العلمي في الكتب أو البحوث العلمية... ص ٩٨
- ■ الباحث = المؤلف المستقصي ذو صفات العلمية... ص ٩٨
- ■ البحاث = كالباحث... ص٩٨
- ■ البحاثة = المصنف العالم ذو القدرة على التدوين والتأليف... ص ٩٩
- ■ البحث = بذل الجهد في موضع ما وجمع المسائل التي تتصل به... ص ٩٩
- ■ البسملة = ما تفتتح به البحوث العلمية... ص ٩٩
- ■ البشر = إزالة بعض المكتوب بالسكين بطريقة معينة... ص١٠٠
- ■ البطاقة = ورقة مصممة بشكل معين تستعمل في جمع المادة العلمية... ص ١٠٠

فهذه المصطلحات التي تدخلنا في بعض تعريفاتها منقولة بترتيبها من المعجم المشار إليه، وهي تدل على المنهج الذي وصفناه، والعلة الظاهرة من هذا المنهج هي التيسير بل الإنعام في التيسير، ولا شك، وهذا المنهج هو الذي يدعم الوظيفة العلمية التي هدف إليها صانع هذا المعجم.

الطريق مازال طويلا

وتأمُّل هاتين المحاولتين على ما أصابهما من نقص يفتح الباب واسعا للقول بأن الحاجة إلى معجمات تعني بمصطلحات التأليف والبحث العلمي في العربية ما تزال ملحة جدا، لاعتبارات كثيرة لعل أهمها أن غايات التأليف والبحث العلمي عند العرب مختلفة تماما عن الغايات المتواترة عند غيرهم، وهو الأمر الذي يتعرض لكثير من الضبابية بتأثير من غول الثقافة الغربية، ومن شأن العناية بمعاجم مصطلحات التأليف والبحث العلمي عند العرب أن يعيد تصحيح التصورات والمفاهيم المرتبطة بهذا الميدان التي ظلت على امتداد التاريخ الإسلامي مرتبطة بقيم التوحيد والربانية والإعمار وتزكية الأنفس والتراحم، وهو ما غاب غيابا ظاهرا عن ميادين البحث العلمي في الحضارة الغربية المعاصرة.

المراجع

١- التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي، تحقيق د.محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق، ط ١ سنة ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م (ص٤٥،٣٣٥،٥١١،٥٣٩،٦٣٣).

٢- مصطلحات البحث والتأليف الأدبي عند العرب، د.أحمد جاسم النجدي (ضمن كتاب المورد: دراسات في اللغة) بغداد، ١٩٨٦م (ص ١١٩).